مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 05 العدد03 جوان 2022 من ص: 438ـ460
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

المؤرخ ابن سلاّم اللواتي (ت273هـ/886م)

وبدء التاريخ في إفريقية

The historien Ibn Salam Al-Lawati(d.273 AH/886 AD) and the beginning of history in Ifriqiya

الزروبل صالح♦

جامعة غرداية salah.zerouil@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2022/02/14 تاريخ القبول: 2022/04/14 تاريخ النشر: 2022/06/15

الملخص باللغة العربية: أسهم المغاربة في بلاد المغرب عموما في كتابة تاريخهم منذ دخول الإسلام أرض إفريقية مع طلائع الفتح الأولى في القرن الأول الهجري، السابع للميلاد، ومن بين هؤلاء المؤرخين الأوائل نذكر: ابن سلاّم بن عمرو اللواتي النفوسي الذي عاش في بلدة أُغرميمان بجبل نفوسة التي تلقى فيها العلم على يد شيخه أبي أكبت، وعاصر جزءًا هاما من الدولة الرستمية(160-296هـ)، وكان كثير التنقل في أرجاء إفريقية ومصر وطرابلس وتوزر ببلاد الجريد التي استقرّ فيها مدة من الزمن لطلب العلم، ولجمع روايات كتابه.

احتوى كتاب ابن سلاّم على تعريف بأسس العقيدة الإسلامية، والتعريف بجمع من كبار الصحابة في صدر الإسلام، ثم يعرض بعد ذلك شرائع الدين المنظمة لحياة الفرد، ويسرد الأئمة الأوائل للمذهب الإباضي بالمشرق، ويتبعها بقائمة لمشايخ المذهب بالمغرب الإسلامي، وذكرٌ لدولة أبي الخطاب المعافري ودولة أبي حاتم الملزوزي أوائل القرن الثاني الهجري، ثم الرستميين من بعدهم.

سلك ابن سلاّم في كتابه مناهج متعددة، فقد اختلف المؤرخون في تحديد منهجه، فمنهم من وصفه بمنهج كتب التاريخ العام، ومنهم من صنفه ضمن منهج كتب التراجم والمناقب، ومنهم من وضعه في خانة كتب السلالات، وهو بذلك لم يعتمد منهجا واحدا.

♦ المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: الكتابة التاريخية؛ ابن سلاّم اللواتي؛ بلاد المغرب؛ الإباضية؛ القرن 3ه /9م.

Abstract: The historians of El-Maghreb have contributed to writing their history since Islam entered Ifriqiya "Africa"territory with the conquest in the first century AH, seventh century AD. Among these early historians was Ibn Salam Ibn Amr al-Lawati al-Nafousi, who lived in Agharmiman in Djebel Nafousa"mountain of Nafousa", where he received knowledge from Sheikh Abu Akbet as he lived during an important era of the Rustomid state(160-296 AH). He also was a frequent traveler throughout Ifriqiya, Egypt, Tripoli, and Tozer in the region of El Djarid; where he settled to seeking knowledge and collect his book.

Ibn Salam's book consists of the definition of the foundations of the Islamic Aqida"faith", a collection of the great companions in the early days of Islam, then showed the religious laws that ruled the life of the individual, and listed the early Imams of the Ibadiya sect in the Mashreq"east", followed by the sheikhs of the sect in the Islamic Maghreb, and mentioned the state of Abul-Khattab Al-Ma'afiri, and the state of Abu Hatim Al-Malzuzi in the second century AH, and the Rustomid state after them.

In his book, Ibn Salam adopted several approaches, Historians differed in defining his approach. Some of them described it as the general history approach. Some others classified it within the curriculum of books of biography and virtues, and some put it in the category of dynasties'books; thus, it did not adopt a single approach.

Keywords: Ibn Salam al-lawati; historiography; Maghreb; Ibadiya; 3rd century AH/9th AD.

مقدمة: لم يتخلّف مؤرخو بلاد المغرب عن ركب كتابة التاريخ عن نظرائهم في المشرق، فقد انبرى لذلك جمع كبير منهم، اختلفت توجهاتهم ومناهجهم ومشاربهم، كما اختلفت مذاهبهم وقبائلهم ومواطنهم، وسنتناول في هذه الأسطر واحدا من الأوائل الذين وضعوا بصمة تأريخية بارزة وهو المؤرخ ابن سلاّم اللواتي.

يُعتبر ابن سلاّم مؤرخًا من الرعيل الأول من بين مؤرخي بلاد المغرب، لكنه لم يُذكر كثيرا عند المؤرخين المحدثين والمعاصرين، فقد كتب كتابا أسماه: بدء الإسلام

وشرائع الدين، وهو الكتاب الذي اعتمده من جاء بعده من كُتّاب السير الإباضية وغيرهم ممن له اهتمام بتاريخ الإباضية في المشرق والمغرب، فمن هو ابن سلاّم اللواتي، وما هي محتويات كتابه، وما منهجه وأسلوبه في عرض رواياته، حتى نقف على نموذج منهجٍ من مناهج الكتابة التاريخية في بلاد المغرب عامة، وعند إباضية جبل نفوسة بخاصة، ويمكننا استخدام المنهج الوصفي للتعريف بسيرة حياته، ومنهج استقرائي لتتبع طريقته وأسلوبه في الكتابة من خلال نصوصه

1- حياة لوّاب بن سلام اللواتي:

1.1- اسمه ونسبه:

هو لوّاب بن سلاّم بن عمرو اللواتي التوزري المزاتي، الذي ذكرته مصادر السير الإباضية والتي كُتبت في القرن 6ه/12م، كالبغطوري وأبي يعقوب الورجلاني، وأبي عمرو السوفي في رسالته، وأبي الوسياني في سيره، والشماخي في سيره أيضا[1]، ضمن شيوخ نفوسة من أهل العلم والديوان[2] والحِلق، والتلاميذ، إذ يقول الشماخي:"ومنهم الشيخ

1 مقرين بن محمد البغطوري، روايات الأشياخ، تح. سليمان بوعصبانة عمر، ط1، مكتبة خزائن الآثار، بركاء، عُمان، 2017، ص337؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، الدليل والبرهان، تح. سالم بن حمد الحارثي، 3 أجزاء، ط2، المطابع العالمية، رُوي، عُمان، 2006، ج2، ص97؛ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، رسالة في الفرق، المطبعة البارونية، مصر، د. ت، ص 5؛ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، سير الوسياني، دراسة وتحقيق سليمان بوعصبانة عمر، 3 أجزاء، ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2009، ج1، ص325، ج2، ص544؛ فرنار شفارتز، ابن سلاّم والتأريخ الإباضي قبل العصر الرستمي، الدورة الخامسة للندوة الدولية حول كتب السير الإباضية، تاريخ ابن سلاّم في ميزان القراءات النقدية، جربة، تونس، من 01 إلى 03 نوفمبر 2018.

2 **الديوان**: في التراث الإباضي يُقصد به الكتاب مطلقا، لا كتاب شعر فقط، وقد يُقصد به ديوان جابر بن زيد ، أو ديوان العزّابة، أو ديوان الأشياخ، أو الديوان المعروض، وكلها مصنفات فقه وعقيدة وحديث. أما عند ابن منظور فمعناه مجتمع الصحف، وهو الدفتر الذي يُكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، والكلمة فارسية معرّبة، وهو تعريف لغوي بعيد عن المقصود في السياق. مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،عُمان، 2012، مادة: دون، ص393؛ ابن منظور محمد، لسان العرب، تح. مجموعة محققين، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة: دون، ص1461-1462؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، مادة: دون، ص305.

...لواب بن سلام، أوتي الحكمة صغيرا"[3]، أما التي سبقتها فلم تذكره ولم تعتمد عليه، كأبي زكريا الورجلاني في أخباره، والدرجيني في طبقاته، رغم أن هذا الأخير تعرّض لذكر علماء ومشايخ القرن 3ه/9م، أي الطبقة السادسة (250-300ه)، وقد يكون من جملة من قال فيهم:" وغيرهم كثير أخفاهم الخمول، وحبّ الاختصار". وسنعتمد في سطور بحثنا على التسمية"ابن سلام"، نظرا لعدد المرات التي ذكره بها الشماخي، وعملا بما توصل إليه الباحث الدكتور فرنار شفارتز Werner Schwartz، لكن دون التأكيد على أنه الصواب، فقد يأتي من يثبت غير ذلك بوثائق أخرى.

من المتفق عليه أنه مغربي إباضي؛ ويظهر جليا من أبواب كتابه، والمصطلحات التي وظّفها مثل: نحن، والجماعة، وفقهاؤنا ومشايخنا، وما يأتي في أواخر الثلث الثاني لنص كتابه من عدّ الأقطار التي ظهرت الإباضية فيها[4]، وأصله البربري واضح في نسبه، النفوسي[5] اللواتي ثم المزاتي، ضف إلى ذلك ذكره لفضائل البربر في كتابه، إذ ينتمي إلى قبيلة نفوسة البربرية الضاربة جذورها في جبل نفوسة بحكم مولده، كما يؤكد ذلك الأستاذ يونس العزابي فيقول في نسبه أنه الأغرميماني الزموري التنكيصتي(التنغيستي)

---

3 أبو العباس أحمد سعيد الشماخي، كتاب السير، دراسة وتحقيق محمد حسن، 3 أجزاء، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009، ج2، ص391.

4 ابن سلام اللواتي، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تح. فرنار شفارتز والشيخ سالم بن يعقوب، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، 1986، ص18.

5 **نفوسة**: جبال عالية منيعة بالمغرب الأدنى-ليبيا-طولها مسيرة ثلاثة أيام، ببنه وبين القيروان 6أيام، وهو اسم قبيلة بربرية منسوبة إلى أبناء نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر، ضاربة جذورها في الجبل المنسوب إليها، وفيه نحو ثلاثمائة قرية، وعدّة مدن منها: مدينة جادو وهي أم قراه، وشروس، وبه معشر الإباضية الوهبية، وهم قوم عجم الألسن، وبها قبيلة بنو زمّور، وقبائل أخرى منها: زناتة وزواغة؛ هكذا وصفها الجغرافيون والرحالة، و هي عبارة عن هضاب فأعلى ارتفاع لها لا يتجاوز 200م عن سطح البحر. انظر: ابن خُرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص90؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860، ص135؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1938، ص ص92-93؛ مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، تح. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1985، ص144؛ وانظر أيضا: Jean Jean Despois , Le Djebel Nafoussa (tripolitaine) , étude géographique, édition la rose paris, 1935, P46.

الجادوي الجندوبي الأجدابي[6]، وهي قرى بجبل نفوسة، أما نسبته إلى توزر، فهي من باب إقامته بها مدة ليست باليسيرة[7].

بالعودة إلى نصوص كتابه يمكن لنا تحديد انتمائه المذهبي من توجهاته، فإيراده لرسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن القصيرة إلى أهل طرابلس[8]، ورسالة أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني إلى أهل المغرب[9]، والتي في سطورها إشادة بالإمام عبد الوهاب وسيرته وحكمه الرشيد، لَدليل على أنه من أتباعه، لكن نجده من جهة أخرى قد لقي خلف بن السمح في جندوبة سنة 271هـ/ 884م[10]، ولم يُظهر ولاءه أو معارضته الصريحة له، ولم يُشر ولو إشارة صغيرة إلى الفِرق الأخرى من بينها فرقة مستاوة أو النّكار، بهذه الأدلة يمكن اعتبار ابن سلام إباضياً وهبياً.

حسب الباحث يونس العزابي فإن ابن سلام من مواليد منطقة آزمور (الرجبان حاليا)، ويرجع أصله إلى قرية أُغرمينان[11]، أو أغرميمان القريبة من ميري بجبل نفوسة التي ولد بها، والواقعة على بعد 15 كلم شرقي جادو[12].

لم يُعرف على وجه التحديد تاريخ ميلاد ابن سلام، ويفترض محققا كتابه الشيخ سالم بن يعقوب الجربي التونسي والدكتور فرنار شفارتز الالماني أن عمره كان بين 15و20 سنة على الأقل عندما تلقى بعض الأخبار عن أبي صالح النفوسي عام 240هـ/854م، وعلى هذا الأساس كان عمر ابن سلام 50 سنة، على الأقل عندما ألّف كتابه وهذا بعد عام 273هـ13، أي من المحتمل أنه من مواليد عشرينيات القرن 3 هـ / 9م، وبذا يكون قد عاش

---

6 يونس العزابي، ندوة السير، المرجع السابق.

7 ابن سلام، المصدر السابق، ص57؛ تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا، تر.ماهر جرار وريما جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص150؛ عبد الرحمن السالمي، مقالات مختارة لتاديوس ليفيتسكي، 3 أجزاء، ط1، بيت الغشام للنشر والترجمة، مسقط، 2014، ج1، ص27.

8 ابن سلام: المصدر السابق، ص107.

9 نفسه، ص161.

10 نفسه، ص153.

11 الوسياني، المصدر السابق، 544/2؛ محمود كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي(ما بين ق2-8هـ/8-14م)، مؤسسة تاوالت الثقافية، و.م.أ، 2008، ص89.

12 ابن سلام، نفسه، ص42.

13 ابن سلام، المصدر السابق، ص42.

فترة القرن الثالث الهجري، التاسع للميلاد كلها أو جلها، كما أن تاريخ مولده مجهول، لم يُعرف أيضا تاريخ وفاته بدقة، ولا مكان قبره، وكانت وفاته على الأرجح سنة 273هـ/ 887م، أو بعدها بقليل[14]، ويحتمل أن يكون قبره بأغرمينان في جبل نفوسة مسقط رأسه.

2.1- أسرته ومصدر رزقه: يشير ابن سلام بوضوح إلى اسم والده في كتابه، قائلا: "ولقيه والدي سلاّم بن عمرو..."[15]، فيكون سلاّم هو والده الذي كان عاملا للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(171- 208هـ/ 787- 823م) على سرت ونواحيها[16]، في حين نجد ابن سلام يذكرهم في معرض حديثه عن موقعة مغمداس الشهيرة سنة 155هـ/772م بين الإباضية وجُند بني العباس قائلا: "فقاتل أبو الخطاب الجند بمغمداس بمن معه من البربر، منهم جدّي عمر بن تمطنين، وأخوه أبو حميد بن تمطنين، ويحيى بن عمر بن تمطنين"[17]، وهذا الأخير هو عمّ ابن سلاّم، و جدّه عمر أو عمرو بن يمكتن أو ئمكتن[18]، أو تمطنين الذي كانت وفاته في 144هـ/ 761م[19]، الذي كان عاملا لأبي الخطاب على سرت[20]، "وكان جدّي عمر ممن حضر وقعة تاورغا"[21].

بهذا يكون ابن سلاّم ابناً لأشهر الساسة والقادة الإباضيين في نفوسة، بأقصى شرق الدولة الرستمية، وإن لم يكن قد ورث عن أبيه وجدّه السياسة والسيف، واستبدلهما

---

14 عمر سليمان بوعصبانة، منتقيات من التراث (مقالات ومحاضرات ذاكرة عمان)، ط1، مكتبة خزائن الآثار، مسقط، 2016، ص90؛ فرنار شفارتز، ندوة السير، المرجع السابق..

15 ابن سلام، نفسه، ص136.

16 الشماخي، المصدر السابق، ج2، 339، ج3، ص269؛ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة الحاج سليمان بابزيز، ط3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، عُمان، 2008، ص157؛ محمد سعد الشيباني، تاريخ إباضية تمازغا، مقدمة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، نسخة منقحة منشورة الكترونيا من السويد، 2017، ص398.

17 ابن سلام، نفسه، ص140.

18 محمد الشيباني، المرجع السابق، ص398. عن تفاصيل حياته ينظر: علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص156-159؛ محمود كوردي، المرجع السابق، ص68-69.

19 مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، جزآن، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 1999، تر677، ج3، ص 656. الظاهر أننا أما شخصين يحملان ذات الاسم، وقد عاشا في فترة متقاربة زمنيا، أحدهما عمر بن يمكتن الذي كان عالما من العلماء، وأول من علم القرآن بجبل نفوسة، والثاني هو عمرو بن تمطنين وهو أحد خيار جند أبي الخطاب، والذي استشهد معه في تاورغا. الشماخي، المصدر السابق، 3/268-269.

20 الشماخي، المصدر السابق، 2/269.

21 ابن سلام، المصدر السابق، ص 150.

بالقلم والعلم، أما بقية أفراد عائلته من زوجة وأولاد وأحفاد، فلا يفيدنا بها هو في كتابه، ولا المصادر ذكرتها من بعده.

يمكن تتبع ابن سلام في فترة من حياته قدرها 35 عاما اعتمادا على كتابه[22]، فكثرة تنقلاته، جعلته يشغّل في مزارعه وحقوله من العبيد من يقوم على شؤون ممتلكاته في غيبته الطويلة، وحين استقراره بعيدا عن الجبل في القيروان[23]، وجندوبة وتوزر وغيرها.

نجد أنه كان شيخا، وإماما ويقصد به إمامة الدين التي تعني المجتهد من العلماء الذين تولوا رواية العلم ونشره وتعليم غيرهم[24]، فضلا عن إمامة المسجد، وداعيا إلى معالم الإسلام، بحكم وظيفته كخطيب وداعية ومفت، و فقيه ضليع في الفقه الإسلامي على المذهب الإباضي، ترد إليه مسائل الحلال والحرام، وأنه كان حكيما منذ صغره، والحكمة هي الإتقان ووضع الأشياء في مواضعها، وفي أوانها وهي نقيض العبث[25].

وفي إشارة للبغطوري وقد نقلها الشماخي في كتابه؛ يذكر أن ابن سلام قد امتنع عن الفتوى خشية الإثم[26]، وذلك في معرض حديثه عن معلّمه " أبي كبت"[27]، الذي ظهر منه من البدع وأفعال السوء، إذ قال:"لا أفتي لكم، إني لا أفرز ما تعلّمت من أبي أكبت من غيره"[28]. وهذا يبين أن الشيخ بن سلام كان عالما كبيرا ، وأنه منتهى الفتوى في قريته أوغرمينان على الأقل، إن لم نقل بالجبل كله.

2- نشأته العلمية وآثاره:

1.2- نشأته العلمية:

22 ابن سلام، نفسه، ص42.

23 إبراهيم بحاز، مصادر تاريخ إباضية المغرب في العصور الوسطى (ملاحظات على المصادر المخطوطة والمطبوعة في السير)، دورية الحياة، جمعية التراث، غرداية، ع16، 2012، ص162.

24 مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، المرجع السابق، مادة: إمام الدين، ج 1، ص58.

25 مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، المرجع السابق، مادة: الحكمة، ج 1، ص289.

26 البغطوري، المصدر السابق، ص337؛ الشماخي، المصدر السابق، 392/2.

27 ويرد كذلك أبو اكبت، وله أسماء أخرى مشابهة، وروايات عن أخباره، وتغير حاله. عنه ينظر: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح. إبراهيم محمد طلاّي، جزآن، ط2، المطبعة العربية، غرداية، د.ت، ج 2، ص132.

28 البغطوري، المصدر السابق، ص337.

عاش ابن سلام فترة صباه في مسقط رأسه قرية أوغرميمان، حيث نشأ وترعرع كباقي أقرانه، ويبدو عليه النبوغ والتفوق على أقرانه، ونستشف ذلك مما ذكره الوسياني في سيره، والبغطوري في رواياته، وهما روايتان متشابهتان إلى حد بعيد، إذ يقول عنه الوسياني: "وذُكر عن الشيخ لوّاب بن سلام رحمة الله عليه في وقت صغره، وكان يؤذّن لهم، فإذا قالوا له: أقم الصلاة قال لهم: الصبي لا يقيم الصلاة، وإذا قالوا له سدّ الفرجة، قال لهم: الصبيّ فرجة، وإذا قالوا له صلّ بنا، قال: الصبيّ لا يكون إماما"[29]، وفيه إضافة عند البغطوري وهي قوله:" فإذا قالوا له: ارجع في وسط الصف، قال لهم: لا يقوم الطفل في وسط الصف"[30].

إن لقاءاته العديدة بمن ذكرهم بأسمائهم ومناطقهم في كتابه، لتُبين لنا بأنه كان كثير التنقل والترحال طلبا للعلم، والاستزادة منه، من مختلف مشاربه ومصادره، أو للسؤال عن مسائل مستجدة، عند كبار مشايخ الإباضية بمصر وطرابلس، والقيروان وجندوبة وأجدابية وغيرها.

ففي سنة 240هـ / 854م التقى ابن سلاّم بأبي صالح النفوسي في مدينة توزر، هذا الأخير أخبره عن عمر بن يمكتن أوّل من علّم القرآن بمنزل يُقال له إفاطمان بجبل نفوسة[31]، وهذا يدل على تحركاته من أجل جمع أخبار كتابه، إما أنه كان على علاقة به كشيخ له، أو أن ذلك قد تم بإيعاز من شيوخه.

ثم نجد ابن سلاّم رفقة الشيخ سدرات قبل سنة 250هـ/ 864م في مصر حيث لقي بها محمد بن عبد الملك الحجازي، ويذكر إلى جانبه جماعة من إباضية مصر، دون تفاصيل أخرى، ويبدو أن لهم تجمعا معتبرا بحضرموت، وهو حي من أحياء مدينة الفسطاط[32]، وشيوخ الإباضية الآخرون الذين ذكرهم في مصر دون تفاصيل عنهم، وكأنني بهم علماء ذائعو الصيت لدى الإباضية، لذا لم يكلف نفسه عناء التعريف بهم وهم: "أبو عثمان"، هكذا ورد كنيةً دون ذكرٍ لاسمه أو نسبه، و"موسى" وهو شيخ آخر لا نعرف عنه شيئا، و"هاشم بن نصر"، و"محمد بن نصر"، و"أبو أيوب وائل الحضرمي"[33].

---

29 الوسياني، المصدر السابق، 325/1.

30 البغطوري: نفسه، ص337.

31 ابن سلام: المصدر السابق، ص149.

32 ابن سلام، نفسه، ص136، والهامش (1) نفس الصفحة.

33 ابن سلام: المصدر السابق، ص136.

كما التقى بمدينة أجدابية عمّار بن أحمد بن الحسين الأطرابلسي بن أبي زياد، بعد سنة 260هـ عائدا من الحج، مع ابن ظبيان الزواغي، في موعد مسبق كان قد طلبه ابن سلام-حسب ما يُفهم من كلامه- والذي جمع بينهم هو أبو يعقوب اللمائي[34]، وهذا صاحب أبي حمّاد النفوسي يخبر ابن سلام عن إباضيي مكة وحجاج عُمان، ومكان التقائهم ومضاربهم بها أيام الحج، الذي لقيه بعد سنة 273هـ/ 886م، وفي جندوبة الواقعة على حدود غريان الغربية الجنوبية بجبل نفوسة سنة 271هـ/884م، يلتقي بخلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ويتم تبادل الرسائل بينهما[35].

من جهة أخرى نلحظ خط ومسار تنقلات ولقاءات ابن سلاّم الذي لم يخرج عن نطاق حدود قرى ومدن الدولة الرستمية، ولم يتجاوزها إلى داخل الأراضي الأغلبية، وإن كانت الحدود مائعة جدا بين الإمارة الأغلبية السنية والإمارة الرستمية الإباضية، إذ تشابكت إلى حد كبير في الربع الأول من القرن الثالث الهجري على حد قول المؤرخ محمد الطالبي[36].

يُعدّ الشيخ ابن سلام من المنتسبين لبلاد الجريد، وقاعدته مدينة توزر، ورغم نفوسيته إلا أن الباحث صالح باجية قد عَدّه من مشايخ الجريد بحكم سكناه بها مدة ليست باليسيرة ونشاطه فيها[37]، و بلاد الجريد (قسطيلية) وقراه العامرة بالإباضية وأهمها: توزر والحامة ونفطة وقنطرارة، والواقع جنوب المغرب الأدنى أو إفريقية، حيث يعتبر كمفترق طرق علمي وتجاري بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتطلعنا المصادر على نشاطه الكثيف في العصور الإسلامية الأولى، والحركة العلمية الدؤوبة لعلمائه وشيوخه الكثيرين في حلهم وترحالهم، وكان لا يختلف كثيرا في التعليم عن تيهرت والجبل في مدارسه ومكتباته العامرة، فقد نال حظا وافرا منه، وعناية كبيرة. عن النشاط العلمي بالجريد، وقد ذكر في كتابه قائمة لشيوخ عاشوا عصره فهم من طبقته، منهم: سليمان بن زرقون، وأبو مهاصر موسى بن جعفر الأفاطماني، وأبو الشعثاء عبد الكريم التسنتوتي، وأبو محمد عبد الله بن الخير، وأبو صالح اليدركلي النفوسي، وأبو القاسم

34 نفسه، ص159.

35 نفسه، ص153.

36 محمد الطالبي، الدولة الأغلبية-التاريخ السياسي(184-296هـ/ 800-909م)، مراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص400.

37 ينظر: صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ط1، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1976، ص178 وما بعدها.

سدرات بن الحسن البغطوري، وخلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ونفاث بن نصر النفوسي[38].

كما ذكر ابن سلام فيمن ذكر، عند تعرضه لذكر فقهاء ومشايخ الإباضية بطرابلس والقيروان وأحوازها في زمانه، شيوخا آخرين لقيهم بإفريقية، وانفرد بذكرهم، إذ لم نجد لهم ذكرا في المصادر، منهم: سليمان بن وكيل الزهاني، وعمار بن أحمد بن الحسين الأطرابلسي بن أبي زياد، وأخوه الحسن، وهما ابنا زعيم فرقة الحسنية أو الحسينية[39]، وأبو يعقوب اللمائي، وأبو حماد النفوسي، وصاحبٌ له من نفوسة مدينة مدرار أهل تافيلالت، وصفه بأنه رجل عالم[40]، دون أن يدلي بتفاصيل عنهم.

2.2- شيوخه وتلاميذه:

تلقى ابن سلاّم العلم على يد شيخه أبي كبت[41]، أو أبي كبه من أهل تنكنيص[42]، وهو الوحيد الذي ذكرته المصادر كالبغطوري والشماخي، أما ليفيتسكي فيقول بأن "لواب بن سلام...كان تلميذا للشيخ أبي يعقوب الذي هو بلا شك الشخص نفسه، المدعو أبي يعقوب، بمقطع في الوثيقة بين أيدينا والذي عاش في الجزء الأول من القرن 3ه / 9م"[43]، لكنه لم يوضح من يقصد بالشيخ أبي يعقوب، إذ هو شيخ مجهول لديه ولدينا.

---

38 عن هؤلاء انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق..

39 **الحسينية**: فرقة من فرق الإباضية، تنسب إلى أبي زياد بن الحسين الطرابلسي الذي عاش في القرن 3هـ/9م، تمتزج مع فرقة العمدية، ولها مقالات بعيدة عن الإباضية، بل خارجة عن الإسلام، كان أتباعها موجودون شرق جبل نفوسة في القرن 6هـ/12م . ليفيتسكي، دراسات شمال إفريقيا، تر.أحمد بومزكو، جزأين، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، د. م. ن، 2006.

40 ابن سلام، المصدر السابق، ص130-159.

41 **أبو كبت (أبو كبة) أو باكوبّات**: وهو شيخ ذو علم، عاش بجبل نفوسة عصر أبي زكرياء يحيى بن يونس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. ليفيتسكي، المرجع السابق، ص128.

42 البغطوري، المصدر السابق، ص337؛ الشماخي، المصدر السابق، ج 2، ص392. وتنكنيص من قرى جبل نفوسة بالجهة الغربية منه، وذكرت باسم تنكنز أيضا عند البغطوري، وموقعها بمنطقة الرجبان حاليا. ويبدو أن تسميتها مقترنة بوجود كنيسة قديمة، ecclesia حسب محمد حسن. الشماخي، المصدر السابق، ج3، ص843؛ البغطوري، المصدر السابق، ص318.

43 تاديوس ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، تر عبد الله أزواو، تقديم موحمد ؤمادي، مؤسسة تاوالت الثقافية، و.م.أ، 2006 ص94.

كما أنه أخذ العلم عن شيوخ المذهب الأوائل كأبي صالح النفوسي[44]، ومحمد بن عبد الملك الحجازي، لكن لا يمكن تأكيد ذلك بمجرد لقاء مع الأول في توزر، وزيارة للثاني في مصر، ويبدو أن هناك مشايخ يُحتمل أنه قد تتلمذ عليهم من المذكورين آنفا، ونستنتج ذلك من قوله: "لا أفتي لكم، إني لا أفرز ما تعلّمت من أبي أكبت من غيره"[45]، وذلك في حق معلّمه أبي أكبت، الذي ظهر منه من البدع وأفعال السوء. ويعلق الشماخي على الحادثة بقوله" إذ لا يميّز بين الثقة وغيره"[46]، مما يؤكد بوضوح أن هناك قائمة من شيوخ آخرين قد نال قسطا من العلم على أيديهم، لكن لم يتعرض لذكرهم، ولا المصادر ذكرتهم من بعده، فلا يمكن التأكيد بأنه قد تعلّم على المشايخ المعاصرين له، إلا إن كانوا أسنّ منه، فالكثير منهم، زملاء له في الدراسة، كما يُحتمل جلوسه إلى مشايخ المذهب في كل من طرابلس والقيروان اللتين ذكر قائمة طويلة لأسماء فقهاء وشيوخ الإباضية بها، ولا تعرف إن كان قصد تيهرت عاصمة الرستميين واستفاد من علمائها وأيمتها.

وفي خبر آخر يحضر ابن سلاّم مجلسا برئاسة الشيخ أبي مهاصر موسى بن جعفر الأفاطماني، "حتى جازت مسألة الحسن البصري، إن كان متولًّى أو يُبرأ منه، فقال لواب بن سلام: كيف يُبرأ من رجل وقف في هذه الأمور خوفا من الله تعالى؟، فقال له أبو مهاصر: تُب يا لواب، وإلاّ تبرّأت منك. فقال له: تُبت أيها الشيخ"[47]، فيبدو من هذا الخبر أنه قد حضر الحلقة أو المجلس بصفته طالب علم، وهو في مراحل تعلمه الأولى، بدليل الموقف الصارم من شيخه، ورضوخ تلميذه له دونما اعتراض. ويُحتمل أيضا أن ابن سلاّم كان عضوا في المجلس، وهو في بدايات تبوئه منصب المشيخة والفتوى مع أقرانه، فمسألة الولاية والبراءة لا يخوض فيها التلاميذ بقدر ما يخوض فيها المشايخ، ضف إلى ذلك مخاطبة الشيخ أبي مهاصر ومناداته إياه بـ: يا لواب، بصفته زميلا له في مجلس الحل والعقد، وقد طُلب منه رأيه في المسألة فأجاب، مبديا رأيه في شخص الحسن البصري، والذي هو من مصادر كتابه.

---

44 **أبو صالح الدركلي النفوسي**(ق3هـ/9م): هو تلميذ الشيخ أبا خليل صال اليدركلي، كان من أهل الخير والعلم والاجتهاد، من الشيوخ الميالين إلى الجدل، يدين له ابن سلام بمعلومات قيمة عن مصادر الإسلام بجبل نفوسة، وقد لقيه ابن سلاّم في توزر ببلاد الجريد قبل سنة 240هـ/854م، ويرجح ليفيتسكي أنه هو نفسه أبو صالح ياسين الدركلي النفوسي الذي عاش في النصف الأول من القرن 3هـ/9م. الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص433؛ ليفيتسكي: تسمية، المرجع السابق، ص 34.

45 البغطوري، المصدر السابق، ص337.

46 الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص392.

47 البغطوري، نفسه، ص278.

يمكن اعتبار جلّ مشايخ الجبل الذين عاشوا أواخر الخمسين الثانية من القرن الثاني الهجري، وبداية القرن الثالث منه، أي نهاية الطبقة الرابعة(150-200هـ) وبداية الخامسة (200-250هـ)، حسب ترتيب الدرجيني أساتذة له، وإن لم يصرّح بذلك بنفسه.

أما تلاميذه فلعلّ عددهم كبير، إذ بالعودة إلى الفترة التي عاشها مؤرخنا، أي القرن الثالث الهجري، يبدو أن كل من عاش بالجبل من شرقه إلى غربه، فترة النصف الأول من ذات القرن، أي الخمسين الأولى منه، يكون زميلا لابن سلام في الدراسة، وهذا الرأي نصدره بالنظر إلى أن تلاميذ قرى الجبل في معظمهم يتعلمون العلم من منبع ديني واحد، حتى وإن اختلفت مدارسهم جغرافيا، إلا أن المنهج والمراحل كانت موحدة، لذا يمكن القول بأن جلّ طلبة العلم قد ترافقوا في مراحل التعليم من مستوى لآخر، ومن مدرسة إلى أخرى، ومن شيخ لآخر، لذا فلا نستبعد التقاء مؤرخنا بمعظم مشايخ نفوسة وحتى من طلبة العلم الوافدين إليها.

وإن عُنّ لنا أن نذكر أسماء منهم فسنذكر مجموعة من السياسيين، الذين تم تعيينهم من قِبل السلطة الرستمية عمّالا على الجبل وطرابلس وضواحيهما، من أمثال: أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني الذي كان واليا للإمام عبد الوهاب، ثم للإمام أفلح من بعده على حيز طرابلس، والعباس بن أيوب[48] والذي تولى حكم طرابلس خلفا لأبي عبيدة، وأبي ذر أبان بن وسيم الذي خلف العباس بعد موته[49]، وآخرين لا شأن لهم بالسياسة ودواليبها منهم: أبو زكريا التوكيتي[50]، وغيرهم كثير.

يمكن اعتبار الطبقة السادسة من طبقات الدرجيني (250-300هـ)، أي الخمسين الثانية من القرن الثالث الهجري، والتي احتوت مشايخ أغلبهم من نفوسة، هم تلاميذ تعلموا العلم على يديه أو ممّن سمعوا عنه، فالمشايخ بالجبل معدودون، وطلبة العلم إليهم قاصدون، ولا نعدم جلوسهم إلى ابن سلام في مرحلة من مراحل تعلمهم، ومنهم: أبو منصور إلياس التندميرتي حاكم حيز طرابلس للإمام أبي اليقظان الرستمي ثم

48 أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الورجلاني، كتاب السيرة وأخبار الأيمة، تح. عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص111- 113؛ سليمان بن عبد الله باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية (القسم الثاني)، تح. أحمد كروم ومن معه، ط3، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص227؛ علي يحيى معمر، الإباضية، المرجع السابق، ص202- 207.

49 علي يحيى معمر، الاباضية، المرجع السابق، ص190- 210؛ ليفيتسكي، تسمية، المرجع السابق، ص48.

50 علي يحيى معمر، الإباضية، المرجع السابق، ص311- 312.

للإمام أبي حاتم من بعده[51]، وأفلح بن العباس، والقاضي عمروس بن فتح المساكني، و أبو الليث الجناوني، وأبو معروف ويدران بن جواد، وسعد بن أبي يونس وسيم[52]، وغيرهم كثير.

3.2- آثاره:

خلّف ابن سلام تراثا علميا هاما، تمثّل في السير والتاريخ ومسائل في الفقه والكلام، وما بين أيدينا لا يعد سوى غيض من فيض، وهي من مؤلفاته المتداولة بين الباحثين والمؤرخين، منها المحققة والمطبوعة، ومنها ما ينتظر التحقيق، ومنها ما هو بحاجة إلى إعادة تحقيق، على ضوء نسخ أخرى محتملة الوجود، أما المفقود منها فلم تشر المصادر الإباضية إليه، وهي:

-رسالة في"**نشأة الإباضية ودخولهم المغرب**": وهي مخطوطة بمكتبة الشيخ سالم بن يعقوب في غيزن بجربة، يبدو أنها لم تحقق بعد، وعنوانها يدل على اتجاهه في الكتابة المذهبية، وطبعا مذهبه هو المذهب الإباضي.

-**مسائل في علم الكلام**: نقل منها أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني السدراتي في كتابه الدليل والبرهان[53].

-**رسائل مع خلف بن السمح**[54].

-**تاريخ ابن سلاّم** أو **كتاب بدء الإسلام وشرائع الدين**.

تعددت رحلاته الكثيرة التي قام بها مشرقا ومغربا، منها زيارة أهل الدعوة للوقوف على أحوالهم، خاصة والفترة فترة ظهور[55] حسب مسالك الدين الأربعة عند

---

51 الباروني، المرجع السابق، ص 331.

52 الشماخي، المصدر السابق، ج 3،ص1004؛ علي يحيى معمر: الإباضية، المرجع السابق، ص220- 228.

53 الشماخي، السير، ج2،ص392.

54 مجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ج 4، ص733. وعن نسخ مخطوطاته وتحقيقها وترجماتها انظر: أم. أتش. كوستيرس، بيبليوغرافيا الإباضية، ترجمة موحمد ؤمادي وخديجة كرير، مراجعة الحاج سليمان بابزيز، جزأين، (قسم المغرب)، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2012، ج 1،ص515.

55 - **إمامة الظهور**: هي الإمامة الكبرى وتأتي بعد إمامة الدفاع عادة، ويكون أمر المؤمنين فيها ظاهرا، أي بإمكانهم تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الظالم وردّ العدو، ولها أدلة من القران والسنة. عنها ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات، المرجع السابق، مادة: إمامة الظهور، ج 2، ص659.

الإباضية[56]، وتأتي بحكم قيمته العلمية، ومرتبته العالية، كشيخ عالم بالأصول والفروع، ومهتم بعلم الكلام، وقد تعود زياراته المتعددة تلبية لدعوات من مختلف الجهات لحلّ بعض المشكلات، والنزاعات والإفتاء في المسائل والنوازل المستعصية، والتقاء العلماء والمشايخ من الإباضية وغير الإباضية للتباحث في القضايا المستجدة.

من جهة أخرى كانت فرصة لجمع مادة كتابه، المتعدد الجوانب من شريعة، وتاريخ، والوقوف على مصادره من مظانها، سواء منها الشفوية أو المكتوبة، كما كانت له الريادة في التأليف من حيث كونه أمازيغيا مغربيا[57].

3- محتويات كتابه ومنهجه:

1.3- محتويات كتاب ابن سلاّم:

لم يتبيّن في سطور كتاب ابن سلام مكان كتابته له، فالباحث إبراهيم بحاز قد أشار إلى أنه قد كتبه في القيروان، أما فرنار شفارتز فلم يمكنه تأكيد ذلك أو نفيه، ويقول إنه ليس بإمكاننا تحديد مكان كتابته، أما فيما يخص محتوياته، فيسرد محققا الكتاب مضمونه بقولهما إنه يتألف من أربعة أجزاء رئيسية[58] ذات حجم مختلف، وتقع في تتابع مضبوط حسب محتوياتها:

ففي الجزء الأول يُعرّف بأُسُس العقيدة الإسلامية، ويشير إلى مجموعة من الخلفاء والصحابة الأوائل في صدر الإسلام، والذين وجب اتخاذهم قدوة ومثلا عليا يسير الخلف على نهجهم، وفي ذلك يورد الكثير من الأحاديث النبوية.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه شرائع الدين المنظمة لحياة الفرد الدينية ويذكر الأئمة الأوائل لمذهبه، أو بعبارة أخرى أورد قائمة بأسماء بعض صحابة الرسول ﷺ، وهذا في الثلثين الأولين من كتابه، إذ تكلم عن المبادئ الدينية وعن المتقدمين الذين

56 عن مسالك الدين الأربعة عند الإباضية ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات، المرجع السابق، مادة: سلك، ج 1، ص488-489.

57 عمر سليمان بوعصبانة، تراثنا والمستشرقون، دورية الحياة، جمعية التراث، غرداية، ع8، 2004، ص180.

58 يقصد المحققان تقسيم الكتاب الواحد إلى عناصر أربعة، فالكتاب في جزء واحد وليس في أربعة أجزاء.

يُروى عنهم الدين[59]، وأورد أحاديث عن الرسول ﷺ في فضل البربر ولعلها لغرض الترغيب[60]، كما أفاد من وصف حال البربر المسلمين وتشوقهم لأخذ القرآن من العرب السابلة.

ويليه في الجزء الثالث إبرازٌ لجور خلفاء بني أمية وبني العباس، من خلال تقييم الإباضية لبعض الأحداث الحاسمة التي مرت بها الأمة الإسلامية منذ عهد الخلافة الراشدة، فروى نُبذا من خلافة عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق، وجزءا يسيرا من فترة علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان ودور قبيلة قريش في القيادة.

أخيرا وفي الجزء الرابع، ذكر لعلماء المذهب الإباضي وفقهائه، ووجودهم في البلدان بالمغرب والمشرق؛ بمصر وطرابلس والقيروان، وذكرٌ لدولة أبي الخطاب المعافري، ودولة أبي حاتم الملزوزي، ثم الرستميين من بعدهم[61]. وبذلك يمكن اعتبار الجزأين الأول والثاني يخصان الجانب الديني والفقهي، في حين أن الجزء الثالث والرابع من كتاب ابن سلام يخصان الجانب التاريخي، إذ فيهما الأحوال السياسية لخلفاء بني أمية وبني العباس، ثم ذكر علماء المذهب الإباضي وفقهائه وزعمائه بالمشرق[62].

ومع سرد محتويات أجزاء كتاب ابن سلاّم، يبقى احتمال فقدان أجزاء أخرى منه واردا، إذ يُرجع الباحث شفارتز ذلك إلى أن ابن سلاّم لم يجد الوقت الكافي أو القدرة لإتمامه، وقد توفي بعد مدة قصيرة من تأليفه، والراجح لهذا السبب لم يعرض مسودّته

59 فرنار شفارت، ندوة السير، المرجع السابق.

60 عمر سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، ط2، دار نزهة الألباب، غرداية، 2013، المدخل، ص17.

61 وهناك قائمتان في الكتاب؛ الأولى تحوي أسماء علماء الإباضية في المشرق أي في مكة والمدينة واليمن وعُمان والكوفة والبصرة والشام. أما الأخرى فتحوي أسماء علماء الإباضية في القيروان ونواحيها، وقد أمدنا المؤلّف أيضا بمعلومات مفيدة عن دولة الظهور التي تأسست بواسطة أبي الخطاب عبد الأعلى في ليبيا وتونس، كما تناول سيرة أبي حاتم الملزوزي وجهاده من أجل بقاء دولة الظهور. وثمة وثيقتان مهمتان نُقلتا في هذا الكتاب: الأولى رسالة من الإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن إلى أهل طرابلس، والأخرى رسالة من أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني وإباضية المشرق إلى إخوانهم إباضية المغرب؛ فيما يتعلق بتمرّد خلف بن السمح على الإمامة في تاهرت.

62 عبد الكريم حساين، حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)، دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018، ص19.

لعالم آخر كي يقوم بتنقيحه وتصحيحه، في حين يُرجّح الباحث إبراهيم بحاز بأن كتاب ابن سلام يُفترض أن يكون أضخم، لأن مؤلفه- كما أخبر- جمعه من دواوين العلم والآثار، فما كان بهذا الزخم من المصادر لابد أن يكون أكبر مما وصلنا من الكتاب[63].

2.3- منهج ابن سلاّم في كتابه:

سبقنا إلى الحديث عن منهجه محققا كتابه، فهما يؤكدان أن "لا وجود لدليل على أن ابن سلام اتبع منهج إحدى المصنفات التاريخية المعروفة في زمانه"[64]، أو أي تأثير من خارج الحضارة العربية الإسلامية، أو عمّا كانت عليه كتب عصره، أي أنه قد اتبع منهجا خاصا به، أو انفرد به عن غيره، منهج تجاوز فيه التقليد والإقتداء عند تأليفه، ويُضيفان بأنه لا يكاد يظهر تشابه بينه وبين كتب التراجم والطبقات في ذكر السلف الصالح[65]، أما المؤرخ ليفيتسكي فيصنفه ضمن كتب التاريخ والتراجم، بدليل الأحداث التي تحدث عنها، ووقعت خلال سنة 240هـ/854م[66]، وينحو في ذات المنحنى المستشرق الألماني فرنار شفارتز في أن كتاب ابن سلاّم ليس بكتاب سير أو طبقات على منوال المؤرخين الإباضيين من القرن4هـ/10م، ومن أتى بعدهم، بل يُشابه في الثلث الأخير مجموعة من المعلومات ربما جمعها ابن سلام تمهيدا لكتابة تاريخ الإباضية المغاربة.

في حين يضعه الباحث علاوة عمارة في زمرة تاريخ السلالات، مثل ما كتب ابن الصغير[67]، كما يصفه الباحث الطاهر بونابي بأنه يغلب عليه الطابع المناقبي التمجيدي، والمسحة السجالية الحوارية المغلفة بالأسطورة[68]، ويصنفه الباحث ناصر بلحاج ضمن

---

63 إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، عرض وتحليل المصادر والمراجع، ص41.

64 ابن سلام، المصدر السابق، ص38.

65 نفسه، ص20.

66 ليفيتسكي، دراسات، المرجع السابق، ص8.

67 علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع32، الرباط، 2004، ص334-335.

68 الطاهر بونابي، أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مج1، ع2، ديسمبر 2005، ص91.

التاريخ الكلي الذي يقوم على دراسة تطور القضايا التاريخية التي تخص مجموعة أو منطقة معينة في إطار التطور العام للمجال التاريخي المحيط بالقضية، ومثال ذلك دراسة العقيدة والفكر الإباضيين في إطار تطور التحولات الواقعة في تاريخ المسلمين[69].

إذا عدنا إلى مقدمة الكتاب يمكن أن نستنتج منهجه إذ يقول: "كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين ونُكت من فضائل الصحابة المهتدين ولمع من أخبار الجبابرة المعتدين، وجملة من أخبار أئمة الإباضية الراشدين..."[70]، فالعبارة توضح أن ابن سلاّم قد سلك بكتابه اتجاهات متعددة، فكتابه كان فقهيا، عقائديا، وذلك في قوله: بدء الإسلام وشرائع الدين، ثم مناقبيا، بقوله: نكت من فضائل الصحابة، وتاريخا عاما، في قوله: لمع من أخبار الجبابرة...الظلمة المعتدين، وسيريا، وتراجميا وطبقيا في آن واحد، في ذكره لأئمة المذهب الإباضي الأوائل بالمشرق والمغرب.

يبقى الاختلاف في أي المناهج تطغى على كتابه، فالقائلون بأن كتاب ابن سلام قد نحى فيه اتجاه السير أو التراجم أو الطبقات أو حتى المناقب، قد يكون رأيهم به جانب من الصواب، فالفروقات بين هذه الأنواع لا تكاد تُذكر، وهي مكمّلة أو شارحة لبعضها البعض، والمحتوى هو الفاصل بينها، فإذا نظرنا إلى التراجم والسير والطبقات، وجدناها تركز على الحقائق التاريخية المتعلقة بالشخصية المترجم لها، بلغة علمية تقريرية واضحة، في حين أن المناقب تقتصر على ذكر المحاسن والفضائل، دون تتبع تفاصيل حياة الشخص صاحب الترجمة، كما أنها تستند إلى لغة الخطاب الصوفي الأدبي، من هنا وبقراءة متأنية لفصول كتاب ابن سلام نجده قد أتى على ذكر تراجم لجملة من الصحابة الكرام، وإن كانت مختصرة إلا أن ذلك كان متعمدا منه تجنبا للإطالة، وحتى يتسنى له فسح المجال للتطرق لجوانب أخرى.

أما المنهج الآخر والذي تبناه كل من الباحث علاوة عمارة والهاشمي الحسين، والقائل بأن مؤرخنا قد سلك في كتابه منهج تاريخ السلالات و التدوينات السلطانية، فقد كان جليا في كثير من أبوابه، فحديثه عن الخلفاء والصحابة الكرام، ثم عن أوائل الإباضية في المشرق والمغرب، وعن أوائل أئمة الرستميين المذكورين في رسالة أبي غانم

69 ناصر بلحاج، ابن سلام ومنهج التاريخ الكلي في كتاب شرائع الإسلام، ندوة السير الإباضية، المرجع السابق، 2018.

70 ابن سلام، المصدر السابق، ص65.

الخراساني، ليندرج في هذا الاتجاه، ونجد ذلك في باب: أمر ولاية عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما[71].

ويمكن تصنيفه أيضا في زمرة التاريخ المحلي، فذكره لوطنه نفوسة وضواحيها، وطرابلس ومصر، وتوزر والقيروان، وتيهرت والأحداث الجارية في عصره، من حكم أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري وولاية أبي حاتم الملزوزي بعده، حتى وإن لم يكن بتنسيق أو تسلسل زمني محدد، فإن ذلك يضع كتابه في المنهج المذكور.

ويمكن تصنيفه في منهج كتب السير إذ كان ابن سلاّم يذكر الشخص وسيرة حياته مقتضبة، مقتصرا على: اسمه وكنيته ونسبه، ثم أهم أعماله التي اشتهر بها، وما اختصه الرسولﷺ به من حديث ورد في المترجم له، ثم وفاته أو مقتله، وقد سار على هذا الاتجاه والمنوال في جميع من ذكرهم في صفحاته، ويبدو أنه تجنب الإطناب في ذلك قدر المستطاع.

كما يمكن تصنيفه في زمرة كتب المناقب ودليل ذلك من عناوين بعض الأبواب، إذ حملت عبارات توحي بأن ابن سلام أراد ذكر فضائل الصحابة والمشايخ ومآثرهم، الذين بدأ مناقبهم بمصطلح "وديننا"، الذي يبدو أنه يعني به "سيرتنا"، أو "مذهبنا" الذي نأخذه من هؤلاء الصحابة، والملاحظ أن المذكورين هم من كبار الخلفاء الراشدين والصحابة، ممن وردت في حقهم أحاديث عن النبي ﷺ، ولم يذكر عليا بن أبي طالب وعثمان بن عفان، اللذين عَرَفت فترة حُكمِهما القلائل التي لم يود ابن سلام ولا من بعده من مؤرخي الإباضية الخوض فيها إلى أن يأتي أبو الفضل أبو القاسم الذي سيخصص كتابه "الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات" لهذه الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام في الجزيرة العربية.

ولكل رجل منهم صفات تميزه، فالخليفة أبو بكر قد اتصف بالحلم مع الرعية، وعمر بن الخطاب بالشدة التي لا يخاف من ورائها لومة لائم، وابن الجراح يمثل الحنكة في القيادة العسكرية، وابن عوف قد تميز بالغنى والإنفاق في سبيل الله، وابن ياسر مثال للصبر على الشدائد والمصائب، وابن مسعود قدوة أهل القرآن وطلبة العلم. وقد جمع أغلبهم في الحديث الوارد عن النبيﷺ: "اقتدوا بالذين من بعدي بأبي بكر وعمر رضي

71 ابن سلام، المصدر السابق، ص125-127.

الله عنهما واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بهدي ابن مسعود بن أم عبد رضي الله عنهم"[72]، وكأن مؤرخنا قد اختار نماذج من كل جانب لتهتدي بهم الأجيال اللاحقة، ويكون ذلك حجة عليهم.

ثم تأتي بعد ذلك فئة من الصحابة، وكأنها في الدرجة أو الطبقة الثانية، أي من التابعين، ويذكر فضائلهم بإيجاز مخل وهم[73]: خزيمة بن ثابت الأنصاري(ت37ه /657م) ، وأبو الهيثم بن النبهان الأنصاري، وأويس القرني(ت37ه / 657م)، وسعيد بن جبير(45-95ه /665-714م)، والذي يجمع بين الأربعة أنهم ماتوا شهداء الإسلام، إما في وقعة صفين أو على يد الحجاج بن يوسف الثقفي. ويبدو أن هناك تراجم أخرى ناقصة، أي أن هناك صفحات وورقات مفقودة في هذه التراجم، أو أن ابن سلام لم تتوفر بين يديه مصادر، يستفيض بها في ذكر مآثرهم وفضائل أعمالهم.

ثم يخص أهل الدعوة والاستقامة بذكر أسماء شيوخ الإباضية في المشرق، بالبصرة والكوفة واليمن والمدينة ومكة وعمان وحضرموت وخراسان وعلمائهم بالمغرب، بمصر وطرابلس ونفوسة والقيروان وتوزر، فيما يمكن تسميته بطبقات فقهاء الإباضية.

بعد كل هذا البسط لتحديد منهج ابن سلام، نجد أنفسنا أمام كتاب ذي مناهج شتى، فجزء منه سير وتراجم وطبقات ومناقب، وصفحات منه شريعة وفقه وعقائد، يتخلل هذا وذاك تاريخ محلي وكلّي مليء بالأحداث، وإن أجزنا لأنفسنا الحكم على منهج واحد غالب على كتاب ابن سلام، وباحتساب عدد الصفحات في كل منهج، نجد أن الفقه بالدرجة الأولى، متبوعا بالتاريخ المحلي أو العام، ثم مجموعة السير والتراجم وأخيرا ما ذكره من مناقب الرجال، لكن هذا لا يعدم من تصنيف الكتاب ضمن كتب السير الإباضية الخالصة، إذا علمنا أن الاتجاه السائد وقته، هو اتجاه الجمع بين العديد من أوجه أنواع الكتابة في فنون التاريخ المذكورة وغيرها، ونشير إلى أن التصنيف المستقل في طبقات الإباضية وسيرهم، أو الفقه الإباضي وعقيدته وأصوله، أو تاريخهم المحلي والعام لم يعرف سبيله إلا بعد زمان ابن سلام بفترة بعيدة أي منذ حوالي نهاية القرن 5ه /11م.

72 ابن سلام، المصدر السابق، ص84.
73 نفسه، ص89.

الخاتمة: لا يزال الغموض يكتنف أهمّ جوانب حياة ابن سلام منذ ميلاده، وحتى وفاته، مرورا بتعلمه وتنقلاته العديدة مشرقا ومغربا. وقد رجّحنا ما ذكره المستشرق الألماني فرنار شفارتز من أنه: (ابن سلام بن عمرو اللواتي النفوسي)، وليس لواب بن سلام، وأنه من مواليد عشرينيات القرن 3هـ/9م، وكانت وفاته سنة 273هـ/ 886م أو بعدها بقليل.

سلك ابن سلام في كتابه اتجاهات متعددة فكتابه كان فقهيا، عقائديا، مناقبيا، وتاريخا عاما، وسيريا، وتراجميا وطبقيا في آن واحد، وقد غلب عليه الطابع الأول والثاني بالنظر إلى حجم الصفحات التي خصصها لذلك، ثم تليه السير والتراجم والمناقب في الدرجة الثانية، لكن هذا لا يمنع من تصنيف الكتاب ضمن كتب السير الإباضية الخالصة، إذا علمنا أن الاتجاه السائد وقته، هو اتجاه الجمع بين العديد من أوجه أنواع الكتابة في فنون التاريخ المذكورة وغيرها، وأعتقد كما يعتقد الكثير من المؤرخين أن حجم الكتاب أكبر بكثير من الذي بين أيدينا، ولا نعدم استفاضة ابن سلام في السير والتراجم في أجزائه المفقودة.

والشيء المميز لأسلوب ابن سلام هو استخدامه للحوار، الذي لم يكن معهودا، ولا مألوفا حتى في كتب الإباضية من بعده، وقد بدا واضحا في الجزء الأول من كتابه وهو أسلوب شيّق، ابتعد به ابن سلام عن الطريقة الكلاسيكية في السرد الموضوعي للتاريخ.

رغم ما قيل عن ابن سلام في أسلوبه ومنهجه، في القرن3هـ/ 9م، إلا أنه لا يمكن الحكم على مؤلفه، بمعايير ومقاييس منهجية وأسلوب القرن15هـ/ 21م، فقد اجتهد في جمع مادة علمية فقهية وتاريخية، لم يجمعها نظراؤه في زمان مبكر مثل زمانه، والصراع على أشده، صراع مذهبي وقبلي وجغرافي، وعلمي. استطاع أن يختط لنفسه طريقه ليحفظ بذلك تاريخ أمة لطالما عانت عبر التاريخ من ظلم ومكر الحكومات المتعاقبة.

أخيرا فإن كتاب ابن سلام بمثابة بداية حلقة من سلسلة مؤلفات سيرية تاريخية خاصة بالإباضية في بلاد المغرب، والتي لم تنقطع تحت أي ظرف من الظروف، واستمر وجودها زمانا ومكانا، إذ واصل الشيخ أبو الربيع سليمان المزاتي وأبو زكريا يحيى الورجلاني من بعده الإنتاج السيري -وإن اختلفت العناوين-، إيمانا منهم بضرورة الحفاظ على سير الأوائل من الزوال.

لم يتناول الباحثون والدارسون لتراجم مشايخ بلاد المغرب بعد حياة ابن سلام، وهي بحاجة إلى دراسة وبحث معمق، كما أن كتابه أيضا بحاجة إلى إعادة تحقيق ودراسته دراسة متأنية لصبر غوار رواياته ونصوصه التي تتحدث عن وقائع القرون الأولى في بلاد المغرب، فضلا عن الجوانب المختلفة التي يمكننا استخلاصها.

قائمة المراجع:

1-إبراهيم بحاز

- الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط4، 2015.

- "مصادر تاريخ إباضية المغرب في العصور الوسطى (ملاحظات على المصادر المخطوطة والمطبوعة في السير)"، **دورية الحياة**، جمعية التراث، غرداية، ع16، 2012، من ص160 إلى ص169.

2- أم. أتش. كوستيرس، بيبليوغرافيا الإباضية، ترجمة موحمد ؤمادي وخديجة كرير، مراجعة الحاج سليمان بابزيز، جزأين، (قسم المغرب)، عُمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، 2012.

3- البغطوري مقرين بن محمد، روايات الأشياخ، تح. سليمان بوعصبانة عمر، عُمان: مكتبة خزائن الآثار، ط1، 2017.

4- ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن: مطبعة بريل، ط2، 1938.

5- ابن خُرداذبة، المسالك والممالك، ليدن: مطبعة بريل، 1889.

6- ابن سلام اللواتي، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تح. فرنار شفارتز والشيخ سالم بن يعقوب، فيسبادن: فرانز شتاينر، 1986.

7- ابن منظور محمد، لسان العرب، تح. مجموعة محققين، القاهرة: دار المعارف، القاهرة، د.ت.

8- تاديوس ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، تر عبد الله أزواو، تقديم موحمد ؤمادي، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006.

9- تاديوس ليفيتسكي

- دراسات شمال إفريقيا، تر.أحمد بومزكو، جزأين، الولايات المتحدة الأمريكية: منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006.

- تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا، تر.ماهر جرار وريما جرار، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000.

10- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح. إبراهيم محمد طلاّي، جزآن، غرداية: المطبعة العربية، ط2، د.ت.

11- سليمان بن عبد الله باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية (القسم الثاني)، تح. أحمد كروم ومن معه، قسنطينة: دار البعث، ط3، 2002.

12- السوفي أبو عمرو عثمان بن خليفة، رسالة في الفرق، المطبعة البارونية، مصر، د.ت.

13- الشماخي أبو العباس أحمد سعيد، كتاب السير، دراسة وتحقيق محمد حسن، 3 أجزاء، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط1، 2009.

14- صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، تونس: دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1976.
15- الطاهر بونابي، "أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مج1، ع2، ديسمبر 2005.
16- عبد الرحمن السالمي، مقالات مختارة لتاديوس ليفيتسكي، 3 أجزاء، مسقط: بيت الغشام للنشر والترجمة، ط1، 2014.
17- عبد الكريم حساين، حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)، دكتوراه، سيدي بلعباس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، 2018.
18- علاوة عمارة، "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، **مجلة التاريخ العربي**، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ع32، 2004 من ص 190 إلى ص 215.
19- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة الحاج سليمان بابزيز، عُمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، 2008.
20- عمر سليمان بوعصبانة
- "تراثنا والمستشرقون"، **دورية الحياة**، جمعية التراث، غرداية، ع8، 2004، من ص180 إلى ص191.
- معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، غرداية: دار نزهة الألباب، غرداية، ط2، 2013.
- منتقيات من التراث (مقالات ومحاضرات)، مسقط: مكتبة خزائن الآثار، ط1، 2016.
21- فرنار شفارتز، ابن سلاّم والتأريخ الإباضي قبل العصر الرستمي، الدورة الخامسة للندوة الدولية حول كتب السير الإباضية، تاريخ ابن سلاّم في ميزان القراءات النقدية، جربة، تونس، من 01 إلى 03 نوفمبر 2018.
22- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.
23- مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، جزآن، غرداية: المطبعة العربية، ط1، 1999.
24- مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، جزآن، عُمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، 2012.
25- محمد سعد الشيباني، تاريخ إباضية تمازغا، مقدمة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، نسخة منقحة منشورة الكترونيا من السويد، 2017.
26- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية-التاريخ السياسي(184-296هـ/ 800-909م)، مراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1995.
27- محمود كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي(ما بين ق2-8هـ/8-14م)، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008.

28- ناصر بلحاج، ابن سلام ومنهج التاريخ الكلي في كتاب شرائع الإسلام، الدورة الخامسة للندوة الدولية حول كتب السير الإباضية، تاريخ ابن سلاّم في ميزان القراءات النقدية، جربة، تونس، من 01 إلى 03 نوفمبر 2018.

29- الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ، سير الوسياني، دراسة وتحقيق سليمان بوعصبانة عمر، 3 أجزاء، مسقط: وزارة التراث والثقافة، ، ط1 ، 2009.

30- الورجلاني أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب السيرة وأخبار الأيمة، تح. عبد الرحمن أيوب، تونس: الدار التونسية للنشر، 1985.

31- الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، الدليل والبرهان، تح. سالم بن حمد الحارثي، 3 أجزاء، عُمان: المطابع العالمية، ط2، 2006.

32- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، ليدن: مطبعة بريل، 1860.

33- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح. سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1985.

34 -Jean Despois , Le Djebel Nafoussa (tripolitaine) , étude géographique, édition la rose paris, 1935.